إهداء

إلى: «طائر أفراح المستقبل».. «عبد الوهاب المسيري»..

الذي عرفني على «طائر الأفراح الحزين».. «عبد المعطي المسيري».

وإلى: «نجيب محفوظ».. الطائر الذي حلق.. وبلغ المنزل.

وإلى: «عبد الرحمن، وتقى، ويوسف كامل رحومة»..

لعلهم يطيرون يوما.

ثم.. إلى: «حمدي عبد السميع عمارة».. طير «مقاهي دمنهور»..

الذي مازال يحرضني دوما على الطيران.

obeikandl.com

obeikandl.com

توطئة

التاريخ من أسفل!

بقلم: محمد سيد ريان(١)

مناهج عديدة يعكف عليها المهتمين بالتاريخ والحضارة لدراسة مراحل عظمة الدول والشعوب أو تدهورها، ولكن أكثر تلك المناهج قرباً من الواقع هو التاريخ الشعبي، كما أن ثقافة المهمشين هى آخر ما تبقى من الهويات القديمة وتراثها وأصولها الحضارية وهى حائط الصد الأخير ضد طغيان موجات العولمة الثقافية.

يعد كتاب "المقاهى الثقافية فى العالم" للكاتب كامل رحومة بمثابة تاريخ شعبى ثقافى موازى للتاريخ الثقافى الرسمي، فمعظم المثقفين يتخذون من المقهى مكاناً للاجتماعات والحوارات الثقافية الجادة فى جو مختلف عن جو المكاتب الحكومية الروتينية ذات الطابع الرسمى

(١) الكاتب الصحفى وعضو المجلس الأعلى للصحافة سابقا.

obeikandl.com

للثقافة والمقاعد المريحة المكيفة فى غيرها من الأماكن الخاصة. لقد كان جو المقهى دافعاً لإنتاج أدبى وثقافى مختلف كما حدث مع "نجيب محفوظ" و"خيرى شلبي" و"إبراهيم أصلان".

يأخذنا الكاتب فى رحلة ممتعة لنكتشف أن رواد المقاهى يشاركون فى صناعة التاريخ؛ تشاهد فيها إعلام الثقافة المصرية وهم ينتجون ويبدعون ويفكرون ويضحكون ويشاركون الناس أفراحهم وأحزانهم.

هذا كتاب يسعى لإنتاج "التاريخ من أسفل" حيث نجد الآمال والطموحات والأفكار الثقافية العظيمة، ويطوف بنا فى أحداث ملهمة لكل المثقفين والفنانين والمبدعين، وقراءته مهمة وخاصة للشباب الذى يسعى لمعرفة ما كان وما حدث ما قبل مواقع التواصل الاجتماعى ومقاهى الإنترنت.

obeikandl.com

مقدمة

باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.

هذا الكتاب هو عبارة عن الجزء الثانى من كتاب جامع شامل كان يحمل اسم "المسيرى ودمنهور.. سؤال الهوية بين عبقرية المكان وحتمية الانتماء"، كان فى أساسه ترجمة لابن عزيز من أبناء البحيرة "د. عبد الوهاب المسيري". وقدر المولى سبحانه أن يتم تجزئته إلى أربعة أجزاء بنصيحة الصديق العزيز الأديب والكاتب الأستاذ "محمد رفعت" وصاحب الفضل فى إخراج هذه الكتب للنور.

أولها: الكتاب الأول الصادر عن "دار كتابي" بالقاهرة باسم "المسيرى وثقافة المكان.. دمنهور – القاهرة – نيويورك وبالعكس"، والذى قد قُوبل بترحاب لم أتوقعه وفاق كل آمالى وحدود خيالي.. فلله الحمد والمنة.

فما بين حفل مناقشة الكتاب الذى أدرج فى فعاليات معرض الكتاب الدولى من قبل "الهيئة العامة للكتاب" لعام ٢٠١٥م، وبين الدعوات

الكثيرة التى تلقيتها، ولم أستطع إلا الاستجابة لقليل منها مثل ندوة "قصر التذوق الفني" بسيدى جابر التابع للهيئة العامة لقصور الثقافة والذى تديره المبدعة السكندرية "أميرة مجاهد"، تبقى ندوة "مكتبة الإسكندرية" والتى أدرجتها إدارة المكتبة ضمن فعاليات "معرض الكتاب الدولي" بالمكتبة ضمن ندوات الثلاثة أيام الأولى، وأدارها الباحث والمترجم "محمد العربي" تحت إشراف ورعاية المبدع "أ. د. خالد عزب"، ما كان كما التاج على رأس كاتب هذه السطور.

ناهيك عن المتابعات الإعلامية المكثفة للندوات - قبل وبعد – وكذا العمل النقدى الذى قام به الكاتب الصحفى "محمد سيد ريان" عضو المجلس الأعلى للثقافة عند مناقشته للكتاب بندوة "قصر التذوق الفني".. والفضل لله والحمد له وحده.

وثانى الأجزاء: هو هذا المؤلف، لكنه يختلف عن سابقه فى أنه لم يكتف بمادة الكتاب الأم الذى كان يؤرخ فى هذا الربع للجامعة الأهلية لمقهى الأديب "عبد المعطى المسيري" بدمنهور، بل أُضيف له ما جعله يليق باسمه الذى يحمله "المقاهى الثقافية فى العالم.. القاهرة – باريس – دمنهور". فتم إضافة مثل حجم المادة الأولى أو أكثر قليلا ليفى بالغرض.

وقد كان فى أساسه عن البيئة الثقافية الخاصة التى نشأ فيها "د. عبد الوهاب المسيري" وخاصة مقهى أستاذه وأستاذ جيله "عبد المعطى المسيري" الذى تربطه به صلة قرابة ليست بالقريبة وليست بالبعيدة، حيث إن الجدود أولاد عم. والكتابان الثالث والرابع ما زالا تحت الإصدار.

واللافت للنظر أن العنوان به ترتيب خاص: القاهرة.. باريس.. دمنهور؛ لأن المقاهى عرفت أولا فى القاهرة، فكان لابد من البدء بها، وهذا أمر ليس بمستغرب على من تعمق فى هذا الباب، ولأن الكاتب الفرنسى "جيرار. جورج لومير" قد فعلها فى كتابه "المقاهى الأدبية من القاهرة إلى باريس".. فابتدأ مترجمه بالقاهرة بما يتوافق مع روح الكتاب الذى كان له اسم آخر لا يتعارض مع الجديد المترجم.

وهذا الكتاب توثيقى تأريخى يعتمد على الرصد والتأريخ.. خاصة أن أسلوب كتابته أقرب إلى الكتابات الأكاديمية التى تعتمد على الدقة فى التوثيق – رغم الذاتية الواضحة فى موضوعات الكتاب الأم – فلا يرتقى إلى مرتبة كتاب "الكاتب المفكر" الذى يهتم بالرؤى والأفكار المجردة، وهى المرتبة التى يتمنى كاتب السطور أن يبلغها.. ولا يميل إلى طريقة كتاب "الكاتب العالم" الذى يهتم بالتفاصيل الدقيقة ويتخصص فى موضوع واحد يحيطه من كل جوانبه، وهى الطريقة التى يجل كاتب السطور كل رواد طرقها المتعددة.

ولكن يجنح لطريقة كتاب "الكاتب الباحث" الذى يستقى المعلومة من مصادرها رصدا وتأريخا، باستخدام آراء الآخرين فى توافق غالبا وأحيانا تعارض، بطريقة بحث تؤسس لـ"نسبية المقولات" التى لا تخص منطقة "المقولات الكبرى" التى تحتاج لمنهج أكثر دقة وأكثر تخصصا واختصاصا.

فأحيانا كثيرة يتم نقل انطباعات أشخاص وأحاسيس ومشاعر خاصة فى نسبية تتناسب مع موضوع المقاهى الذى يخص فكرة "جماليات

المكان" التى تختلف من شخص لآخر.

وسيكتشف القارئ عظم وخطورة موضوع المقاهى هذا، وسيكتشف كذلك أن رواد المقاهى يشاركون فى صناعة التاريخ؛ لأنه لا توجد مساحة حرية ممكن أن يتمتع بها إنسان فى ظل نظام الدولة الحديثة إلا فى المقاهى والمصايف والمنتزهات، والمصايف والمنتزهات لها سياقات تقلل من هذه الحرية أو تحدها بزمن وجهد وتكلفة تؤصل لتربع المقاهى على عرش قلوب وعقول الناس، وكذا على عرش سرطانى آخر ينشع بالصداع فى أدمغة كل مستبد.

وسيكتشف القارئ أيضا كم كان عظيما ذاك المواطن المصري، البسيط المركب، المتواضع الشامخ، السائر فى عتمة الليل يبغى النهار، المثقف الأديب، الطامح للمعالى رغم قصر ذات يده، المتربع على عرش ثقافة الأقاليم فى القرن العشرين استحقاقاً وتأثيراً "عبد المعطى المسيري" صاحب "مقهى المسيري" بدمنهور.

فهو جليس كبار أدباء ومثقفى مصر يأتون مقهاه يلبون نداءه، وهو أستاذ كبار الأدباء والمثقفين الذين كانوا يتحلقون حول معينه، علهم يفوزون منه برشفة تروى ظمأهم للمعرفة.

وقد كتب عنه أساطين الفكر فى مصر والعالم، وبلغت شهرته الآفاق، ثم أصبح نسيا منسيا.. فيأتى مؤلفى هذا فى محاولة حثيثة لنشر شيء من فضل عبير سيرته العطرة، علها تفيض على القراء بعبق من عطره وعطر زمنه الفواح.. ذاك العطر المصرى المعتق.. ولعل منهم من يحاكيه أو يحاكى نصيفه أو حتى مرباعه.

ومن يدرى لعل الله يبعث فى يوم ما من يفوقه!.. فالذى تتلمذ على يديه أمثال المسيرى [د. عبد الوهاب] و"خيرى شلبي" و"إسماعيل الحبروك" و"محسن الخياط" و"نظمى لوقا" و"على شلش" و"محمد عبد الحليم عبد الله" و"عبد المنعم الصاوي" و"رجب البنا" و"محمد صدقي" و"عمر بطيشة" و"فتحى سعيد" و"عبد القادر حميدة" و"حامد الأطمس" وغيرهم الكثير؛ حقيق أن يفخر به المصريون وتفخر به "مصر" الأم التى ما عقمت يوما أن تلد مثل ذاك العبقري.

ذاك لينتبه الناس إلى طاقاتهم المدفونة، فلا يأس مع الحياة.. فاليأس كفر.. ولا ينقص التوفيق إلا إرادة الإصلاح.. ثم اللهم فلتحيَ مصر.. تحيا مصر.

ولا أنسى أن أشكر كل من ساعدنى فى اتمام هذا العمل، وعلى رأسهم الأستاذ "عبد الرحمن المسيري".. فله كل تقدير وشكر وامتنان.

فاللهم إنى أسألك أن يكون هذا العمل خالصا لوجهك الكريم.. ثم اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع.

كامل مصطفى رحومة